مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السادسة عشرة : العدد الرابع والستون ـ محرم ١٤٣٠ هـ ـ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٩م

مصحف عثماني، مطبوع بسنت بطرسبورغ،
حجري، سنة ١٩٠٠م

Ottoman Holy Quran, Copied in St Petersburg
Stone manuscript in 1900

الداعية المصلح و الرحالة الخطيب
الشيخ الفضيل الورتيلاني الأزهري الجزائري
[1318-1379هـ / 1900-1959م]

د. أحمد عيساوي

جامعة باتنة - الجزائر

تمهيد :

كتب الشيخ محمد الأكحل شرفاء يصف أستاذه الفضيل الورتيلاني فقال: ((.. إن نفس الورتيلاني العظيم من تلك الفئة الأولى الأصيلة : تلك التي تشبه المعدن الذهبي، ذلك الذي يصهر بالنار، ولكنه يخرج منها ألمع ما يكون بريقا، وأنقى ما يكون من الشوائب، وهذا نفس ما حدث للفضيل، فلقد مرت عليه كما تمر على الأفذاذ العباقرة، ظروف عابسة، حسبها الناس حجابا صفيقا بين ماضيه ومستقبله، ولكنها سرعان ما انقشعت كما تنقشع السحب الثقال عن وجه الشمس، فأشرف الورتيلاني من جديد على دنيا الإسلام والعروبة بالأضواء الكاشفة، فأنار طريق الكفاح من جديد، وفتح جبهة الجهاد من جديد، وتبوأ مركزه العظيم بين أساطين النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي))[٥].

المرحوم الشيخ الفضيل الورتيلاني شخصية فريدة من نوعها. ونوعية متميزة في عالم الدعوة والإصلاح الديني في الجزائر وفي العالمين العربي والإسلامي. وهو من أهم الشخصيات الدعوية والإصلاحية والسياسية والدينية الجزائرية في العصر الحديث؛ إذ لم تعرف الجزائر بين الجمع الغفير من علمائها ودعاتها ومصلحيها نمطا دعويا يشابهه في حله وترحاله، وأسلوبه وبيانه، وشجاعته واقدامه، وتوكله وايمانه .

وهو ظاهرة دعوية جديرة بالدراسة والتحليل، كما أنه ظاهرة إصلاحية جديرة بالتتبع والاقتفاء التحليلي والمنهجي، فقد عاش -يرحمه الله- نصف عمره في الجزائر متعلما ومعلما ومربيا وداعيا، كما قضى نصف عمره الآخر داعيا ومصلحا وخطيبا ومجاهدا متجولا في سبيل

التعريف والدعاية والنصرة للقضية الجزائرية في جميع أنحاء المعمورة. إلى أن توفي - يرحمه الله - في تركيا وحيدا غريبا عن وطنه. ووري التراب دون حضور الأهل والخلان. حتى تفطنت له الجزائر في عهد الرئيس السابق (الشاذلي بن جديد ١٩٧٩-١٩٩١م) فنقلت رفاته سنة ١٩٨٧م. ودفن في قريته بني الورتيلان بالقرب من مدينة سطيف.

ولعل إلقاءنا بعض الأضواء على بيئته وظروف عصره السياسية والثقافية. التي ولد وعاش ونشأ وتعلم فيها. قبل أن يهاجر بقضية الجزائر إلى سائر دول العالم ما يكشف لنا حقيقة المهمة الدعوية والإصلاحية الجسيمة التي اضطلع بها في حياته الجهادية الثرية .

بيئته وظروف عصره :

وسنعرض فيها لوضع الجزائر السياسي والثقافي والتربوي والاجتماعي بشيء من الدقة والعمق والتركيز. عامدين إلى الخلاصات والنتائج التي توصل إليها المؤرخون الجزائريون ضمانا لدقة التشخيص. ووضوح الرؤية القائمة للفترة الحالكة التي مرت بها الجزائر غداة النصف الأول من القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٨م. حيث عاش ودعا وجاهد ورحل وخطب الشيخ الفضيل الورتيلاني - يرحمه الله - في سبيل الإسلام والعروبة والجزائر إلى أن لاقى ربه مرضيا .

وضع الجزائر السياسي غداة القرن العشرين:

اختزل المؤرخ الجزائري الباحث الأستاذ الدكتور العلامة أبو القاسم سعد الله وغيره من الباحثين والمؤرخين الجزائريين وضع الجزائر السياسي في الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٠٠-١٩٤٠م في المحطات البارزة التالية :

١ - كانت الجزائر في غليان دائم ومستمر. ثم ظهرت فيها التمردات الثورية بحدة. وسادت فيها أيضا الاضطرابات السياسية. وعمتها النشاطات الثقافية والأدبية المتنوعة[١١].

٢ - إن الاحتلال الفرنسي لم يخلق الوطنية. ولكنه أيقظها. وقواها بتوفير أسباب نضجها وبروزها.

٣ - لقد قامت هذه الوطنية برد فعل عنيف ضد الاحتلال الأجنبي ورغم حجم الإجراءات المضادة التي اتخذها الاحتلال لإضعافها حقبة. فإنها قد ظهرت مرة أخرى في آخر القرن الماضي مستعملة تكتيكا جديدا. وضغطا قويا ضد الاحتلال.

٤ - لقد كان إلحاق الجزائر بفرنسا سنة ١٨٣٤م. وإصدار قانون مجلس الشيوخ (سانتوس كونسيلت) سنة ١٨٦٥م. و(قانون الأهالي كود دولانديجان) سنة ١٨٨١م. وإنشاء محاكم الاضطهاد الخاصة (تربينو ريبريسيف) سنة ١٩٠٢م، والتجنيد الإجباري سنة ١٩١٢م. (كل ذلك) خرقا للاتفاق المبرم سنة ١٨٣٠م بين الجزائر وفرنسا. كما كان خرقا لجميع المبادىء الديمقراطية. التي تتبجح بها فرنسا صاحبة الثورة الفرنسية ومبادئها العادلة.

٥ - لقد كان الحكم الفرنسي في الجزائر حكما ردعيا. زجريا. قمعيا. اضطهاديا. وسلبيا أيضا..

٦ - يتحمل المستعمرون. وساسة فرنسا على قدم المساواة مسؤولية تردي أوضاع الجزائريين.

٧ - كانت مساعدات وإعانات القوى المناوئة لفرنسا للحركة الوطنية ضئيلة جدا. وغير حاسمة.

٨ - اعتمد الجزائريون على أنفسهم في تكوين حركتهم النهضوية الوطنية دون انتظار عون من أحد.

٩ - إن طلب الجزائريين المساواة مع الفرنسيين لم يكن ضد قيمهم الوطنية الأصيلة. بل كان مجرد وسيلة لحماية حركتهم من القوانين الاستثنائية. وهي في - حد ذاتها - حركة إيجابية الهدف منها مخادعة القوانين الزجرية الاستثنائية الفرنسية القاسية .

١٠ - لم يكن وجود الثقافة الفرنسية في الجزائر عامل إنعاش. وترقية للثقافة الجزائرية الوطنية - كما يدعي بعض الناعقين - بمقدار ما كانت عامل قمع. وقهر. ومطاردة.

١١ - إن عدم وجود قوة إقليمية كبرى. أو عالمية تنافس فرنسا على الجزائر. - مع اعتقاد فرنسا بكون الجزائر مقاطعة فرنسية تابعة لها - قد ساعد وساهم في عزلة الحركة الوطنية الجزائرية[٩].

أما وضع الجزائر الثقافي والاجتماعي والتربوي واللغوي والديني... فلم يكن أفضل حالا من وضعها السياسي. ولعل إلقاءنا الأضواء عليه يبين لنا حالة التردي التي كان يرسف فيها الجزائريون. ومنهم الشيخ الفضيل الورتيلاني يرحمه الله .

وضع الجزائر الثقافي غداة القرن العشرين:

أما وضع الجزائر والشعب الجزائري الثقافي واللغوي والديني والتعليمي والتربوي والفني فقد وصفه الباحث الدكتور عثمان سعدي بقوله: ((..لقد كان مخطط الاستعمار طوال وجوده بالجزائر مبنيا على إفراغ الشخصية الجزائرية من مضمونها القومي والوطني لإحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها. وكان يشرف على تطبيق هذا المخطط كبار أساتذة الاستعمار الفرنسي. وهم متخصصون في كل العلوم الإنسانية وعارفون بالدقائق الخفية للتركيب النفسي والاجتماعي للفرد الجزائري. وكان هذا المخطط ذا حدين متوازيين متكاملين : الأول مباشر. وتمثل في غلق جميع الفرص أمام الجزائري. التي تمكنه من تعلم لغته الوطنية. وهذا يطبق في المدرسة على الخصوص.. والثاني غير مباشر تمثل في إفساد الذوق الفني الجزائري في الأغنية. والموسيقى. والمسرح. والأدب. وسهر على تطبيق هذه الخطة جهاز الإعلام الفرنسي المتطور..))[١٠].

ويضيف الدكتور عثمان سعدي مبينا مخطط الاستعمار الفرنسي مسخ وتشويه معالم الشخصية الجزائرية بقوله: ((..وكل المجهودات التي بذلتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر حيال الفرد والمجتمع الجزائري في النواحي التربوية والتعليمية والثقافية. إنما هدفت بالأساس للقضاء على اللغة العربية أولا المقوم الرئيس للثقافة العربية والدين الإسلامي. والى تحويل الفرد الجزائري من لغته وثقافته ودينه إلى لغة المستعمر وثقافته ودينه..))[١٠].

وقد مرت في عمليتها التدجينية تلك. بواسطة مجموعة من الإجراءات والوسائل والأساليب. محولة الفرد الجزائري بالتدريج من فرد ناقم ومقاوم ومغالب للاستعمار. إلى فرد راض بالتعايش مع الاستعمار. ثم إلى فرد خاضع للاستعمار. ثم إلى فرد متميز بخاصية القابلية للاستعمار والاستذلال. ثم إلى درجة المسلم المطلق بحتمية الاستعمار الفرنسي عليه. وقدره المحتوم عليه وذلك عبر جملة من الأساليب والوسائل والإجراءات القهرية التي من أهمها:

١ - محاربة اللغة العربية محاربة استئصالية شديدة، وتقسيمها إلى ثلاث لغات: (عامية، قديمة، حديثة). وذلك بغية محوها من عالم الشهود الحضاري المحلي والإقليمي والعالمي.

٢ - محاربة الدين الإسلامي الحنيف، كدين متكامل - حمى الجزائر عبر فتراتها التاريخية المتلاحقة - والتقليل من شأنه، وتشويهه بشتى أساليب التشويه والمسخ.

٣ - اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في دارها وبين أهلها بموجب قانون الـ ٠٨/مارس/١٩٣٨م.

٤ - فرنسة مراحل التعليم، وطبعها بالطابع الأوربي المسيحي.

٥ - تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام، وضرب قيم الانتماء، ومقومات الهوية العربية الإسلامية للفرد وللمجتمع الجزائري.

٦ - عدم تدريس الجزائريين تاريخهم الوطني العريق العربي الإسلامي، وعدم تدريس جغرافية بلادهم والعالم العربي والإسلامي، والاستعاضة عنهما بتدريس تاريخ وجغرافية فرنسا وأوربا والصليبية، والوثنية اليونانية والرومانية البائدة[٥].

٧ - تقديم الثقافة المسيحية القوية الناهضة بديلا عن الثقافة العربية الإسلامية الضعيفة المهزومة.

٨ - ضرب ستار حديدي مقيد وعازل للجزائر عن وسطها الطبيعي وامتدادها العربي الإسلامي، وذلك بهدف عزلها حضاريا.

٩ - تضييق الخناق، وضرب الحصار، بالنفي، والتشريد، والسجن، والغرامات، وقيود التراخيص وغيرها .. على كل رجال الفكر، والعلم، والفقه، والثقافة العربية الإسلامية الأصيلة.

١٠ - فرنسة الإدارة، ووسائل الإعلام، وجميع مجالات الفكر، والأدب، والفن، والثقافة، ومطاردة الثقافة العربية الإسلامية في جميع المجالات.

١١ - تعطيل النوادي العربية الحرة التي كانت تقوم بنشر اللغة العربية، وتربية النشء على القيم العربية الإسلامية الأصيلة.

١٢ - تعطيل العمل بالشريعة الإسلامية لكل المسلمين الجزائريين وفرض الاحتكام إلى القوانين الوضعية الفرنسية، أو إلى العرف والعادات بالنسبة لبلاد القبائل.

١٣ - إخضاع جميع المؤسسات الدينية إلى السلطة الاستعمارية المباشرة، ورفض العمل بقانون فصل الدين عن الدولة.

١٤ - فتح الجزائر أمام البعثات التبشيرية المسيحية على اختلاف مذاهبها، وتمكين تلك البعثات من كل الأسباب المادية والمعنوية والبشرية والقانونية.

١٥ - القضاء على كل مراكز الثقافة العربية الإسلامية، من: جوامع، ومساجد، ومدارس، وزوايا، وكتاتيب، ورباطات، ومكتبات..[٦].

١٦ - تكوين جيل مشوه وممسوخ من الجزائريين لا صلة له بأمته، وتاريخه، ولغته، ودينه، ومجتمعه الجزائري، وذلك بدمجهم ضمن إطار الثقافة والقوانين الفرنسية ليصبحوا مسلمين فرنسيين مندمجين يشكلون جيوب تبعية للاستعمار الفرنسي في حالة وجوده ورحيله، وهو ما تم بالفعل بعيد استقلال الجزائر المظاهري سنة ١٩٦٢م.

وما كاد يمضي على الجزائر والجزائريين قرن

وثلث القرن من الاستعمار حتى كانت نسبة الأمية تشكل في رجاله ٩٥٪ . وفي نسائه ٩٨ ٪[٦].

هذه هي حضارة أوربا المسيحية التي حملتها إلى العالم العربي والإسلامي لتحضيره وتمدينه. والتي تربى في أحضانها الأجيال والناشئة من أمثال الشيخ المرحوم الفضيل .

وعندما زارها الزعيم المصري الكبير الأستاذ (محمد فريد بك وجدي) ووصف واقع الجزائر والشعب والجزائري الثقافي مع مطلع القرن العشرين. الذي تناوله بكثير من الفهم والعمق والشجاعة والإسهاب. واضعا يده على الأسباب والدوافع الحقيقية والتاريخية له. ومما جاء فيه قوله: ((..كانت ربوع العلم آهلة بالطلاب. وجوامع القطر الجزائري ملأى بالمعلمين والمتعلمين. ودور الكتب عامرة بالمؤلفات. والمطالعين. واشتهر من بين أهل الجزائر كثير من الكتبة والمؤلفين. إلى أن أخذت هذه الحال تتبدل في أوائل القرن الماضي. وكان الفتح[٨] الفرنساوي الضربة القاضية. على العلم وأهله. بسبب اشتغال جميع الأهالي بمحاربة المغيرين على بلادهم. والدفاع عن ديارهم حقبة من الزمان. وما أعقب تلك المقاومة الشديدة من مصادرة الحكومة الفاتحة لأملاك أغلب العائلات الكبيرة. عقابا لها عن دفاعها عن وطنها. ومهاجرة الكثير من علمائها. ومثريها إلى البلاد الإسلامية الأخرى. ووضع الحكومة يدها على جميع الأوقاف الخيرية بلا استثناء. بما فيها المحبوسة على الجوامع والطلبة والمدرسين مقابل ترتيب مبلغ زهيد في ميزانيتها لما بقي من الجوامع بعد التي حولت إلى كنائس. أو هدمت لإصلاح طريق. أو بناء قلعة. أو استعملت ثكنة للجند أو غير ذلك. فأصبحت البلاد ولم يبق فيها من المدرسين بالجوامع إلا ما يعد على الأصابع. وقل الطالب والمطلوب. وهجرت ربوع العلم. وخربت دور الكتب. وصارت الديار مرتعا للجهل والجهلاء. وكادت تدرس معالم اللغة العربية. كما تطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية. بل أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل: وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة وغيرها من السواحل والثغور..))[٩]

وفي ظل هذه الأوضاع الثقافية المتردية ولد وعاش وتربى وتعلم الشيخ الفضيل الورتيلاني وأمثاله. ومارسوا نشاطهم الدعوي والإصلاحي الشاق. الذي سنحاول - بعون الله - الكشف عنه في هذه الدراسة المتواضعة .

أصله ومولده ونشأته وتعلمه :

ولد السيد حسنين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل الورتيلاني يوم ١٨/فبراير/١٩٠٠م في قرية [أنو] ببلدية بني ورتيلان بولاية سطيف. وكان مسجلا في بلدية [بوقاعة - لافاييت سابقا-][١٠].

وقد عاش في عائلة كريمة محافظة ذات علم ومجد ومكانة وفضل. فقد كان جده الأعلى لأبيه الشيخ الحسين الورتيلاني من أكابر علماء عصره. وقد ترك بعد وفاته العديد من المؤلفات الدينية. منها: [شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار]. و[الكواكب العرفانية والشوارق الآنية في شرح الألفاظ القدسية]. وهي قصيدة في علم التصوف للشيخ العلامة المالكي (عبد الرحمن الأخضري) صاحب السلم المرونق في علم المنطق وغيره من المؤلفات والشروح والحواشي القيمة[١١].

وفي تلك العائلة الفاضلة تربى الفضيل. فحفظ القرآن الكريم والمبادىء الأولية للعلوم العربية والدينية. وتتلمذ على يد العالم الفاضل الشيخ محمد السعيد البهلولي[١٢].

وقد وصفه حق الوصف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فقال: ((.. ومعرفة الأستاذ الورتيلاني لا تتم، إلاّ بمعرفة نشأته وتربيته الأولى. فقد نشأ على مقربة من الفطرة السليمة، وتربى تربية دينية يتعاهدها المربي من والدين ومعلمين بالمحاسبة على الصغيرة والكبيرة، والمناقشة في الجليلة والحقيرة. فأينع وشب مرتاض الطبع على المحاسبة والمناقشة والاهتمام والجد، مع توهج الإحساس، واشراف الروح وسمو الغاية. يعاون ذلك كله ذكاء متوقد، وبديهة مطاوعة في مجالات القول، ولسان كالسيف المأثور إذا لاقى الضريبة صمم، ومازالت تلوح على تفكيره ورأيه آثار من تلك التربية، يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها..))[١٣٢].

وفي خريف من سنة ١٩٢٨م سافر إلى قسنطينة والتحق بحلقات ودروس الشيخ عبد الحميد بن باديس فتتلمذ على يديه، وبعد تخرجه تولى التدريس معه في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، فتخرج على يديه خلق كثير من التلاميذ، الذين اضطلعوا بالعمل الإصلاحي والثوري في الجزائر، وأعجب به الشيخ عبد الحميد بن باديس أيّما إعجاب، وصار يصطحبه معه أينما ذهب، ويتباهى به في كل مجلس، ويستخلفه في غيابه من بعده في شؤون التربية والتعليم والإدارة، كما كان يرسله ممثلا ونائبا عنه في الكثير من المناسبات التربوية والتعليمية والدينية والاجتماعية ..[١٣٣]

عوامل نبوغه :

اجتمعت جملة من العوامل الفطرية والمكتسبة لتجعل من شخصية الشيخ الفضيل الورتيلاني شخصية نابغة ومتميزة في عصره، وأهم هذه العوامل هي:

١ - انتسابه لأسرة كريمة ومحافظة مشهورة بالعلم والأدب والفضل.

٢ - تلقيه تربية دينية وأخلاقية صالحة، وبقاؤه وفيا لفطرته السمحة التي فطر الله الناس عليها، فلم يُعرف عنه التبديل أو التغيير أو التحريف أو الانزلاق..

٣ - ذكاؤه وفطنته وشجاعته وجرأته في الحق، وثراء قدراته ومواهبه الفطرية المتعددة .

٤ - حفظه للقرآن الكريم في سن مبكرة، وحفظه للأحاديث والأخبار الصحاح، وتعلمه اللغة العربية.

٥ - تتلمذه على يد الشيخ المرحوم عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر من سنة ١٩٢٨-١٩٣٢م.

٦ - تقريب الشيخ عبد الحميد له وتوليته بعض المهام التربوية والتعليمية والدينية والصحفية والدعوية .

٧ - هجرته الدعوية المبكرة إلى فرنسا بتكليف من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتولي شؤون الجالية الجزائرية الأمية المهاجرة من سنة ١٩٣٦-١٩٤٠م .

٨ - تلقيه تعليما جامعيا عاليا في الأزهر الشريف من سنة ١٩٤٢-١٩٤٩م، وحصوله على شهادة العالمية في الشريعة وأصول الدين .

٩ - إقامته الطويلة والمثمرة في المشرق العربي منذ سنة ١٩٤٢م إلى وفاته سنة ١٩٥٩م .

١٠ -علاقاته وصداقاته العديدة مع رجال الدعوة والإصلاح الديني أمثال الشيخ المرحوم الشهيد [حسن البنا] والشيخ [محمد محمد رمضان] وسائر رجال جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة

الشبان المسلمين وجماعة عباد الرحمن .. ومع رجال الأدب والفكر والثقافة والفن .. ومع رجال السياسة ومن الرؤساء والقادة والزعماء. ومع رجال الإصلاح الإسلامي .

١١ - رحلاته الكثيرة في الشرق والغرب.

١٢ - انتماؤه لجماعة الإخوان المسلمين وتبوئه منصبا دعويا وقياديا وإرشاديا فيها.

١٣ - سرعة بديهته، وقوة حافظته، وبيان عارضته، وذرابة لسانه، وبلاغة خطبه وبيانه .

١٤ - عظيم إخلاصه وتضحيته وتفانيه في سبيل خدمة أمته ودينه ولغته وتاريخه العربي الإسلامي .

١٥ - نشاطاته السياسية المتعددة المحلية والإقليمية والعربية والعالمية وغشيانه النوادي والمجامع والمحافل خطيبا وداعيا .

نشاطه الدعوي والإصلاحي :

وبعد أن أمضى سنوات يدرس على يد الشيخ عبد الحميد في قسنطينة، ألحقه بسلك المدرسين التابعين لمدارس جمعية التربية والتعليم. وعهد له الشيخ سنة ١٩٣٣م بمتابعة ومراقبة وإخراج وتطوير مجلة (الشهاب). وظل كذلك إلى أن كلفته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمهمة الوعظ والإرشاد وهداية المهاجرين الجزائريين في فرنسا خاصة وأوربا عامة. فهاجر منتدبا من قبل الجمعية إلى فرنسا سنة ١٩٣٦م. وظل بها أربع سنوات يدعو إلى الإسلام واللغة العربية بين صفوف المهاجرين. ويستحث همتهم لطلب الاستقلال عن فرنسا. فخشيت الإدارة الاستعمارية من نشاطاته الدعوية والدينية فقررت الخلاص منه. ولكنه استغل أحداث الحرب العالمية الثانية وسقوط فرنسا بيد الألمان سنة ١٩٤٠م فهرب إلى مصر[١٥].

وفي مصر كان له تاريخ حافل بالمآثر والأمجاد. كما كان سجله الدعوي والحركي والديني والعلمي عظيما في تلك الفترة. التي بدأها بمتابعة دراسته في جامع الأزهر. إلى حصوله منه على شهادة العالمية الأزهرية. ثم رئيسا ممثلا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مصر إلى غاية التحاق الشيخ البشير الإبراهيمي سنة ١٩٥٢م. ثم عضوا فاعلا في جماعة الإخوان المسلمين. وكثيرا ما كان الشيخ [حسن البنا] ينيبه في الخطابة عنه في الكثير من المناسبات : ولاسيما دروسه ومحاضراته الإرشادية الأسبوعية. كما كانت له العديد من التدخلات والمشاركات النضالية السياسية والفكرية والأدبية والدينية في جماعة [الإخوان المسلمين]، و[جمعية الشبان المسلمين] بمصر وفي بعض الأقطار العربية الأخرى. وكذلك علاقته الإصلاحية والدعوية الوطيدة بجماعة [عباد الرحمن] ببيروت. التي اعترفت بجميله في خدمة الدعوة الإسلامية فطبعت مقالاته النارية الثائرة - التي كان يعرّف فيها بعدالة القضية الجزائرية الرازحة تحت نير الاستعمار الفرنسي - سنة ١٩٥٦م. ثم أعادت طباعتها سنة ١٩٦٣م. ثم شارك في ثورة اليمن ضد السلطان يحي حميد الدين سنة ١٩٤٨م، وحكم عليه بالإعدام مما اضطره للهرب إلى سورية ولبنان[١٦].

ومع حلول سنة ١٩٤٩م قام الشيخ الفضيل بإنشاء مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة. وعمل به ممثلا للجمعية. وقد قام بعدها بالاتصال بقادة دول المشرق العربي والإسلامي. بهدف استقبال الطلبة الجزائريين للدراسة فيها. فلبت دعوته الكثير من الدول. التي توافد عليها

طلاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإتمام دراستهم العليا فيها[١٧].

ثم انضم إلى صفوف الثورة التحريرية من أول يوم. وقدّم هو والشيخ البشير الإبراهيمي بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من مصر المؤيد والمناصر للثورة التحريرية. وقدم الكثير من أجل التعريف ونصرة القضية الجزائرية. كما أكثر من الترحال في سبيل الجزائر. إلى أن انتقل إلى تركيا ممثلا للثورة الجزائرية فيها. وقد استطاع أن يبدل الموقف الرسمي والشعبي التركي فيها ليصبح مؤيدا للقضية الجزائرية العادلة[١٨].

وقد اشتهر بعذوبة لسانه وخطبه الرنانة ولاسيما خطبه السياسية منها. وكان عنيفا في خطبه ومقالاته وحواراته. ناريا في مهاجمة الطغاة والمستعمرين، وقاتلا في الإغارة على أعوانهم وخدمتهم وأذيالهم الكثيرين يومها في العالمين العربي والإسلامي وفي الجزائر خاصة. كما كان مندفعا فيما يدعو إليه. ومتحمسا فيما يعمل من أجله. وقد ترك لنا كتابه الشهير [الجزائر الثائرة] المطبوع في بيروت سنة ١٩٥٦م والذي أعيد طبعه ثانية سنة ١٩٦٣م، وقد ضم بعضا من مقالاته المنشورة في الصحف العربية والجزائرية[١٩].

وعليه يمكن تقسيم مراحل نشاطه الدعوي والإصلاحي إلى المراحل التالية :

١ - المرحلة الأولى ١٩٢٨-١٩٣٦م:

وهي المرحلة التي بدأت منذ التحاقه بالشيخ عبد الحميد بن باديس طالبا للعلم في حلقاته العلمية العامرة بالجامع الأخضر بقسنطينة وتنتهي بتكليف الشيخ له بالعناية والاهتمام بشؤون الجالية الجزائرية المهاجرة في فرنسا .

٢ - المرحلة الثانية ١٩٣٦-١٩٤٢م:

وهي المرحلة التي تبدأ بانتقاله إلى فرنسا ونشر الدعوة والتوعية في صفوف العمال المهاجرين فيها. وتنتهي أثناء الحرب العالمية الثانية وهربه إلى تركيا ثم إلى مصر .

٣ - المرحلة الثالثة ١٩٤٢- ١٩٤٩م:

وهي المرحلة التي التحق فيها بالقاهرة وانضم إلى الجامع الأزهر لمتابعة دروسه العلمية وتحصيله في نهاية المطاف على شهادة العالمية في الشريعة وأصول الدين سنة ١٩٤٩م .

٤ - المرحلة الرابعة ١٩٤٩- ١٩٥٩م :

وهي المرحلة التي تبدأ مع تأسيسه لمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة سنة ١٩٤٩م بتكليف من الجمعية. وانخراطه في العديد من الجمعيات والمنظمات السياسية والاجتماعية والدعوية، وقيامه بالعديد من الرحلات التبشيرية لمستقبل الجزائر وقضيتها العادلة إلى حين وفاته .

نشاطه السياسي :

اضطلع الشيخ الفضيل الورتيلاني بنشاط سياسي ملفت للانتباه. ولم تكد تمر مناسبة سياسية عربية وإسلامية. إلاّ وكان له توقيع المشاركة فيها. فعندما أمضت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا سنة ١٩٥٤م سارع إلى تأكيد موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منها. ومما جاء في البرقية المرسلة إلى مكتب رئاسة الجمهورية المصرية بتوقيعه والشيخ البشير الإبراهيمي قوله: ((إن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة، ليسره أن يبعث إلى سيادتكم بالتهنئة الحارة، على إرسائكم الحجر الأساسي لتحرير

مصر من المعتدين الغاصبين. وإن اعتقادنا في همتكم وعزيمتكم واتساع أفقكم. مع ما يتجدد في كل مناسبة من أقوالكم المتحدة. ذات الطابع العسكري البسيط. كل ذلك يجعلنا نأمل كل الأمل في أن يكون تحرير مصر على أيديكم وأيدي زملائكم الكرام. إنما هو بداية لتحرير جميع العرب وجميع المسلمين. وطريق معبد لجمع كلمتهم على الحق والخير. ليعيدوا تاريخ أسلافهم الأبرار. في إسعاد الإنسانية جمعاء.

وإن خير ما نذكركم به هو ما ذكرتم به نفسكم والناس. ذلك في كلمتكم الرزينة للمواطنين حين قلتم: "إن مرحلة من كفاحنا قد انتهت. ومرحلة جديدة على وشك أن تبتدىء. هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا. وتعالوا نبني وطننا من جديد. بالحب والتسامح والفهم المتبادل".

وإن خير ما ندعو لكم به في هذه المناسبة هو نفس ما دعوتم به أنتم "اللهم أعطنا المعرفة الحقة. كي لا يستخفنا النصر وتدور رؤوسنا غرورا مع نشوته". إلى آخر ذلك الدعاء الحي الملآلىء. نسأل الله أن يستجيب لكم. وأن يسدد خطاكم. وأن يديم توفيقكم في خدمة العروبة والإسلام. والسلام.

عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة: [محمد البشير الإبراهيمي. الفضيل الورتيلاني][١٠].

كما أصدر بالقاهرة رفقة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بيان الجمعية التاريخي المندد بسياسة وموقف فرنسا الاستعمارية. والمؤيد للثورة التحريرية منذ انطلاقتها الأولى.

وعندما حل الزلزال الكبير بمدينة [الأصنام - الشلف حاليا] الجزائرية شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤م سارع إلى إرسال برقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يستعطفه فيها للتبرع لمنكوبي الجزائر. ومذكرا إياه بحالة التعليم السيئة في الجزائر. فبادر الرئيس جمال عبد الناصر بالرد عليه. وبتخصيص مبلغ عشرة آلاف جنيه لمساعدة منكوبي الأصنام[١١].

كما كانت له علاقات وطيدة مع زعماء العالم وأحراره. فقد قابل مرة الزعيم الهندي [جواهر لالا نهرو. والزعيم الباكستاني محمد علي جناح. والزعيم الأندونيسي أحمد سوكارنو]. وزعيم الجماعة الإسلامية السيد أبو الأعلى المودودي. ومع زعيم مسلمي الهند الشيخ أبو الحسن الرابع الندوي. وغيرهم من الزعماء السياسيين والدينيين.

منهجه ووسائله الدعوية والإصلاحية:

تنوعت أساليب الشيخ الفضيل الورتيلاني الدعوية والإصلاحية والتربوية والتغييرية. بحيث لم يترك وسيلة ناجعة يستطيع أن يوصل بها رسائله التوعوية إلاّ واستثمرها أيّما استثمار. ويمكن حصر وسائله وأساليبه الدعوية والإصلاحية في الوسائل التالية:

١ - التربية والتعليم والتدريس في المدارس.

٢ - الخطب والدروس الدينية والمواعظ المسجدية.

٣ - الانخراط وتأسيس الجمعيات الوطنية والمحلية والعربية والإسلامية العالمية.

٤ - الكتابة في الصحف والمجلات العربية والإسلامية والجزائرية.

٥ - حضور المؤتمرات والندوات والتجمعات الخاصة والعامة.

٦ - ربط الصلة بالمشرق العربي لغة وروحا وانتماء .

٧ - إحياء قيم وماضي وتاريخ وأمجاد الجزائر في نفوس الشعب الجزائري .

٨ - محاربة الطرقية والبدعية، وكل أشكال الخرافة .

٩ - مقابلة الملوك والقادة والرؤساء العرب والمسلمين وزعماء أحرار العالم .

١٠ - الرحلات الإصلاحية الكثيفة في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه .

وبهذه الوسائل والأساليب والطرق المتنوعة استطاع الشيخ الفضيل الورتيلاني - يرحمه الله - أن يدعو لقضية الجزائر العادلة، ويبشر لمستقبل الجزائر المشرق .. ولعلنا نلقي بعض الأضواء على أهم وسائله الإصلاحية وهي :

١ - العمل السياسي :

وقد تجلت نشاطاته السياسية في انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين، وجمعية الشبان المسلمين بمصر، وجماعة عباد الرحمن ببيروت. وفي رئاسته لمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة من سنة ١٩٤٩-١٩٥٢م قبل التحاق الشيخ البشير الإبراهيمي بها. وفي عضويته الدائمة بمكتب المغرب العربي برفقة الشيخ [علال الناسي] والمجاهد المغربي الكبير الشيخ [عبد الكريم الخطابي ت ١٩٧٣م] والشيخ [الشاذلي المكي التبسي الجزائري ت ١٩٨٨م]. وفي عضويته للجنة العليا للدفاع عن الجزائر التي تأسست بالقاهرة سنة ١٩٤٢م، وعضويته في جمعية الجالية الجزائرية، وجبهة الدفاع عن شمال أفريقيا التي أنشئت بمصر سنة ١٩٤٤م. وفي جبهة تحرير الجزائر التي أنشئت بلبنان في الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤م، إلى أن أصبح ممثلاً لمكتب جبهة التحرير الوطني بتركيا سنة ١٩٥٨م[٣١].

وكان الشيخ الفضيل الورتيلاني قد اتهم بمشاركته في ثورة اليمن التي قتل فيها الإمام يحي حميد الدين، ولكن تأكدت براءته من المشاركة في الثورة، وتبين أن الشيخ الفضيل تواجد في اليمن ساعة قيام الثورة فعفى عنه ابنه بقرار ملكي[٣٢].

٢ - الصحافة :

كتب الشيخ الفضيل الورتيلاني المئات من المقالات والرسائل والبرقيات والخواطر الثائرة، في سبيل نصرة القضية الجزائرية العادلة الرازحة تحت نير الاستعمار والعبودية، في الصحف الجزائرية والعربية والإسلامية، ولم تشغله قضية وطنه المغتصب فحسب، بل كتب في كل شؤون الوطن العربي والإسلامي الكبير الكثير من المقالات، وقد احتلت قضية فلسطين مساحة بارزة في كتاباته، ولعل تسليطنا الضوء على مقال له سنة ١٩٥٤م، جاء في صيغة نداء وندبة وتحسر تحت عنوان [هل يعرف العرب هذه الحقائق عن فلسطين -أنقذوا الممكن منها قبل نزول الغضب]، يبين لنا مكانتها لديه، وقد كتبه بعد أن كلفه المؤتمر الإسلامي العام بزيارة الأماكن المقدسة ومعايشة الفلسطينيين عن كثب لمدة ثلاثة شهور، ومما جاء في مقاله القيم قوله: ((.. أيها العرب، أيها المسلمون، إليكم أسوق الكلام مرة أخرى عن فلسطين، وأنا أعلم أنكم قد مللتم الكلام عن فلسطين، لأنكم ألفتموه من عشرات السنين، حتى ما بقي ضرب من ضروب البيان في النظم والنثر، إلاّ وقد مر على أسماعكم يحمل اسم فلسطين، ومأساة فلسطين، وكارثة فلسطين، والدعوة إلى

التضحية بالمال والأنفس في سبيل فلسطين. وإلى غير ذلك من صراخ وبكاء وعويل على فلسطين.

على أننا يوم كنا نملأ الفضاء بتلك الصيحات من الأقوال مزهوين كان اليهود يملؤونها بالأفعال صامتين متواضعين. فكأن القرآن الذي حكم بأشد المقت على الذين يقولون ما لا يفعلون. والذي جعل دليل صدق إيمان المؤمنين. الاستعداد بكل شيء. ولكل شيء. كأن هذا القرآن الكريم إنما أنزل باللغة العبرية. وعلى بني إسرائيل. ولم ينزل باللغة العربية. وعلى بني عدنان والمسلمين .

أما الذي أريد أن ألفت إليه الأنظار في هذه الكلمة المتواضعة. فأعتقد أنه خطير جدا. أو أعتقد أن مغزاه جديد على كثير من العرب والمسلمين. وينحصر هذا الجديد في أمور بلوتها بنفسي. ومن وقت قريب لم يتغير بعدها شيء ذو أهمية .

كان المؤتمر الإسلامي العام قد كلفني بدراسة أحوال اللاجئين. ودراسة أحوال المرابطين في القرى الأمامية. فاستجبت لرغبتهم وقضيت زهاء ثلاثة أشهر في ذلك الجو الرهيب. تعرفت فيه على ما في النفوس وعلى ما في العقول. ثم عرفت طبيعة الأرض الباقية في أيدي العرب وعرفت خطورتها وأهمية الاحتفاظ بها. ثم خرجت بحقائق في الآفاق وفي الأنفس. أعتقد أنها خطيرة جدا. ويجب أن يعلمها كل من يهمه أمر هذه البقعة المقدسة التي دفنت فيها كرامة العرب والمسلمين.

الحقيقة الأولى في الأنفس: وتتمثل في تلك المعنويات الجبارة التي ما يزال الإخوان الفلسطينيون رغم عظم المحنة يتمتعون بها. وإنها لثروة نادرة عن أن توجد أو تبقى طويلا في مجتمع قد ابتلي بأشنع كارثة عرفها تاريخ الإنسانية المهذبة. لقد أدركت بنفسي عظمة تلك المعنويات. وأدركتها عن اختبار واسع ومقصود. وجدت مئات الآلاف من اللاجئين. وفيهم من كان يسكن القصور ويقوم على خدمته الخدم والحشم. وجدتهم يسكنون في معسكرات موحشة. ربما كان بعضهم أيام العز يستنكف أن يجعلها حظائر للحيوانات. ورأيت سيدات مع بناتهن كالبدور. ربما كن حتى الأمس القريب في بيوتهن أشباه الملكات. رأيتهن على شكل طوابير ينتظرون الساعات الطوال أمام مكتب يديره أعداء العرب والفلسطينيين. ينتظرن بضعة أرطال من الدقيق المخلوط. تسلمه لهن محسنة من محسنات القرن العشرين. يسمونها وكالة الغوث .. إنما يطلبون في حماس والحاح إعدادهم للجهاد فقط. يطلبون سلاحا. ويطلبون ذخيرة. وهم يقنعون بعد ذلك بإحدى الحسنيين. إما نصر على الأعداء أو شهادة في سبيل الله.

والحقيقة الثانية متعلقة بالآفاق. أو بأرض فلسطين الباقية في أيدي العرب. هذه البقعة المقدسة يجب أن يعمل العرب لأهميتها ألف حساب.. وبناء على هذا فإني أعتقد أن اليهود يبيتون نية الاعتداء حتما على هذه البقعة الخطيرة. وأنهم مصممون على احتلالها على طريقة الأمر الواقع الذي جربوه مرارا فنجح .. وبعد فإننا نستطيع أن نخلص من هذا الاستعراض إلى الخلاصة الآتية. بيدنا حتى الآن قوتان لاسترداد فلسطين : الأولى معنويات أهلها. والثانية هي الأرض الباقية التي لا تزال بين أيديهم. فإذا لم ننجح في المحافظة عليها. فإن الطمع في استرداد فلسطين قبل قرون يصبح ضربا من الخرافة. ويجب أن يعلم المسئولون أن الاعتماد على غير الفلسطينيين لخوض غمار المعركة في الجولة الثانية. ينطوي على شيء كثير من الخيال وسوء التقدير. لأن الفرق بين معنويات الفلسطيني في هذه القضية بالذات وبين غيره. ولو

كان ذلك الغير عربيا، كالفرق بين النادبة والثكلى. ثم إن الفلسطيني أخبر الناس بطبيعة بلاده. فلقد يستطيع المائة منهم بفضل الخبرة أن يفعلوا ما لا يستطيع أن يفعله جيش قائم بذاته. ويكفي أن يعلم العرب اليوم أن الفلسطينيين يستطيعون أن يسرحوا ويمرحوا في داخل إسرائيل وفي تل أبيب ويافا وحيفا بالذات من غير أن يخشوا أدنى أذى من اليهود. بل من غير أن يكون لليهود أدنى علم بتنقلاتهم وتصرفاتهم. ولو أن الحكمة تجيز أن أتوسع في هذا الموضوع لضربت عشرات الأمثلة عن صنيع أولئك المجاهدين المغامرين.

وبعد فيا أيها العرب ويا أيها المسلمون: إن الفرصة لا تزال قائمة وفي استطاعتكم أن توهنوا عظم اليهود تمهيدا لإيقاف ظلمهم. ثم القضاء على روح الجشع والاعتداء فيهم. وإن لم تفعلوا فيوشك أن ينزل الله عقابه، ثم لا يصيبن الذين ظلموا منكم خاصة. - الفضيل الورتيلاني -))[٢٥].

والمحلل لهذا المقال يتبين منه الكثير من الرؤى السياسية الاستراتيجية الصائبة في فكر الشيخ الفضيل يرحمه الله، من أهمها، تنبيهه إلى أهمية اضطلاع الفلسطينيين بعبء العمل الجهادي، وتنبيهه إلى أهمية الحفاظ على الجزء المتبقي من الأراضي العربية في فلسطين، وأهمية مقاومة العدو الصهيوني من الداخل.

٣ - الرحلات:

قام الشيخ برحلات عديدة شملت العديد من الدول، بدأها من أوربا سنة ١٩٣٦م، ثم زار كلا من سورية وتركيا ولبنان واليونان وإيطاليا وسويسرا ولكسمبورغ وبلجيكا وهولندا وانكلترا وإيرلندا وإسبانيا والبرتغال والمغرب، ثم عاد إلى بيروت واستأنف رحلاته باتجاه الشرق فزار كلا من الكويت والسعودية وإيران والبحرين وباكستان والهند وبورما والملايو وسنغافورة وإندونيسيا. وفي إندونسيا حضر العديد من المؤتمرات واللقاءات السياسية والدينية[٢٦].

ولعلنا نقدم تغطية جريدة البصائر لرحلتيه الشهيرتين اللتين قام بهما إلى الهند وإندونيسا، ومما جاء في تلك التغطية الصحفية تحت عنوان: [بريد الشرق] المراسلة التالية: ((تلقينا من الأستاذ خليل أبو الخدود مدير مكتب وكالة إندونيسيا في بيروت هذه الأخبار الهامة الثلاثة، فنشرناها شاكرين رغم تأخر ورودها إلينا:

- دلهي - لمراسل وكالة أنباء إندونيسيا للنشر العربي.

وصل إلى عاصمة الهند الرحالة الإسلامي الكبير الأستاذ الفضيل الورتيلاني الزعيم المغربي الشهير، وفي يوم وصوله إلى دلهي قابل نائب رئيس الوزراء، لأن المستر نهرو كان متغيبا في رحلة داخلية، وقابل وزير المعارف مولانا أبو الكلام آزاد، وقد دار الحديث حول قضية شمال أفريقيا عموما والقضية التونسية والمغربية خصوصا، وتعهد المسؤولون الهنديون بالوقوف في صف القضية العربية العادلة، ثم عقد ندوة صحفية مع مراسلي وكالات الأنباء العالمية والمحلية، ثم استمر في رحلته فزار كلكتا، ومنها اتجه إلى باكستان الشرقية))[٢٧].

كما وافى مراسل وكالة أنباء إندونيسيا بخبر وصول الزعيم المغربي الرحالة الشيخ الفضيل الورتيلاني إلى جاكرتا، ومما جاء فيها: ((.. وصل إلى إندونيسيا الزعيم الإسلامي الكبير الأستاذ الفضيل الورتيلاني مندوبا عن مؤتمر العالم الإسلامي، وعن مؤتمر علماء المسلمين

المنعقدين في كراتشي عاصمة باكستان موفدا من قبل الهيئات السياسية في المغرب العربي. وألقى فور وصوله إلى جاكرتا محاضرة قيمة نقلت بالإذاعة. ثم توالت عليه الدعوات فسافر إلى جزيرة سومطرة لحضور مؤتمر نهضة العلماء. وخطب فيه ثلاثة أيام متوالية. كان لخطبه في المؤتمر دوي عظيم. واستطاع بلباقته وقوة منطقه وصادق إخلاصه أن يقرب وجهات النظر بين أركان حزب ماشومي الكبير الذي شاع سوء التفاهم بين صفوفه في الأيام الأخيرة. ثم دعي إلى أنحاء إندونيسيا فقام بجولة بربوعها كان لها أعظم الأثر. وكانت الإذاعات والصحف تنقل دائما أخباره. وقد اجتمع برئيس الجمهورية أكثر من مرة. وبرئيس الوزراء والوزراء. وكان محل حفاوتهم وإكرامهم جميعا..))[١٠].

مؤلفاتـه :

لم يترك الشيخ الفضيل الورتيلاني بعد وفاته المؤلفات والمصنفات بسبب انشغاله بالعمل الدعوي والإصلاحي وتأليف قلوب الرجال. بالرغم من ثراء تجربته. وما تركه سوى مقالاته. التي تطوعت جماعة عباد الرحمن بنشره سنة ١٩٥٦م. ثم أعادت طباعتها سنة ١٩٦٣م ببيروت. وقد حدثنا الشيخ البشير الإبراهيمي عن مكانته العلمية والأدبية واللغوية والفنية والفكرية والثقافية لو أراد التأليف والكتابة والتصنيف. ولكن عرض علينا مشاريعه المستقبلية في التأليف. وكان رحمه الله ينتظر فرصة سانحة يستريح فيها ليدون فيها الكثير. ولكن المنية عاجلته فمات دون أن يدون شيئا. ومما جاء من كلام الشيخ البشير قوله: ((..ولكن الآفة التي أضاعت على الجمهور القارىء الاستفادة من آرائه وأحكامه أنه لم يدونها خصوصا في هذه الحقبة التي اختل فيها استقراره وامتحن بها بما يمتحن به الأحرار. وقد وقفت بحكم العلاقات الوثيقة بيني وبينه على عدة آراء له مدونة في قضايا العرب الخاصة وقضايا المسلمين العامة. أصاب في معظمها. وقرطس وربط المعلولات بعللها. وكشف عن خبايا لا يتأتى الكشف عنها. إلاّ للأقل من القليل من رجالنا. فألححت عليه أن ينشرها على الناس. مع توسع في بعضها بالشرح والتحليل مادام للتاريخ عند كل مفكر ذمام. وقد وعد بنشر ما تسمح به الظروف العامة بنشره ويسمح له وقته الخاص بإعادة النظر فيه. وتقويم كل أسلوبه. أما مذكراته في الأحداث العربية فهو يتربص بها ساحل الأمان واعتدال الزمان..))[١١].

والظاهرة التي تميز علماء القطر الجزائري عن غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية عموما. والمغاربية خصوصا قلة التصنيف والكتابة والتأليف. وتفضيلهم العمل الميداني الإحيائي في البيئة والواقع الاجتماعي. على العكس من غيرهم من العلماء الذين يكثرون من التصانيف كل حسب قدرته وطاقته وعمره وفنه .

ويعود سبب تواضع إنتاجهم النظري لعامل دعوي مهم انطلقوا منه بوعي وإصرار متميز ولاسيما خلال الفترة الاستعمارية البغيضة للجزائر ١٢٤٥-١٣٨٤هـ/١٨٣٠-١٩٦٢م. حيث غلبت على بيئتهم وفردهم ومجتمعهم عوامل التخلف والأمية والجهل والضياع. بسبب سياسة الاستعمار الهمجية التي سلطها عليهم. لمحو شخصيتهم. واغتيال هويتهم ووجودهم وحاضرهم مستقبلهم من

الخارطة العالمية. الأمر الذي استدعى حضورهم الدؤوب في الأنفس والواقع والوجود. وليعيدوا بذلك الحضور الشهودي في المساجد والمدارس والنوادي والأماكن الخاصة والعامة إلى الشعب الجزائري الضائع قسماته وخصائصه الدارسة. وبسبب القيود القمعية والقانونية التي كانت الإدارة الاستعمارية تفرضها على الحرف العربي المطبوع والمكتوب. ولولا حضورهم المستمر في المساجد وتلاوة القرآن بشكل دوري كل يوم بعد الصلوات وبشكل جماعي وفردي. وتدريسهم لعامة الناس. وعبر الحلقات العلمية المتخصصة لانتهى الإسلام من الجزائر بعد قرن من الاحتلال.

وانطلاقا من هذا التشخيص الواقعي لأمراض أمتهم تحتم عليهم التركيز على محاربة مظاهر وأسباب التخلف والجهل والأمية والضياع. وذلك بفتح الكتاتيب القرآنية. والمدارس العربية الحرة. والنوادي الثقافية والأدبية والفنية والرياضية والكشفية. والمعاهد المتوسطة والعالية. وبناء المساجد الحرة. وتقديم الدروس التوعوية العامة فيها للكبار. والدروس والحلقات العلمية المتخصصة للناشئة الصغار .

ولم يكونوا يكتبون إلاّ في الصحف والمجلات الخاصة بهم. أو التي تنتشر في العالم العربي والإسلامي. كصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [الشريعة. السنة. الصراط. الشهاب. البصائر]. أو بعض الصحف المستقلة كـ [النجاح الجزائرية] الصادرة بقسنطينة سنة ١٩١٩م والتي توقفت عن الصدور سنة ١٩٥٦م. و[الشعلة ١٩٤٧-١٩٤٩م] . و [المغرب العربي ١٩٤٧-١٩٤٨م]. أو بعض الصحف والمجلات العربية والإسلامية[٢٩].

فيعالجون في هذه الصحف قضايا وأمراض أمتهم. ويجيبون على فتاوى عامة. وينيرون درب السالكين. ويردون على المستعمرين. ويصححون أخطاءهم على الدرب. ويتجهون بالنصح والتوجيه لمن يتنكب الطريق.

إهماله لصحته ووفاته :

لقد كان بالفعل مريضا برسالته. ومتفانيا في الاهتمام بها. وهي رسالة ضخمة تنوء بالعصبة أولي القوة. تبتدىء بوطنه الصغير الجزائر. والمغرب العربي. ثم ترتقي إلى العرب وإلى المسلمين. ثم إلى الإنسانية كافة. وهو في الاستجابة لطلباتها التي لا تنتهي. والتي لا يرحم نفسه منها. فقد يشتغل الليل موصولا بالنهار.. إلى أن هانت حيويته. وخارت قواه. وتراجعت فتوته. وأصيب بالعديد من الأمراض فاعتلت صحته. فلقد أصابه مرض الربو وضيق التنفس والسكري. نتيجة الإرهاق. وتوجب عليه العلاج والسفر إلى أوروبا لإجراء عملية جراحية، ولكن اندلاع ثورة الجزائر أنساه كل شيء فظل في حركة دائبة حتى أسلم روحه لبارئها.

ولما استحكمت العلل فيه والأمراض نصحه بعض الإخوان بالسفر إلى أوروبا أو إلى تركيا للاستطباب فيها. وبحكم كونه كان ممثلا لجبهة التحرير الوطني الجزائرية بتركيا فقد اتجه إليها مباشرة أواخر سنة ١٩٥٨م. ولكنه لم يكد يبدأ العلاج فيها حتى حمل إلى المستشفى الكبير بأنقرة وفيها توفي يوم ١٢/مارس/١٩٥٩م من ثقل الأمراض المزمنة التي استشرت في جسده المجاهد والتي كان يعاني منها. وبها دفن. ثم نقلت رفاته إلى الجزائر يوم ١٢/مارس/١٩٨٧م[٣٠].

مميزات شخصيته :

تميزت شخصية الشيخ الفضيل الورتيلاني بين دعاة ومصلحي عصره بالكثير من الفرائد والقيم والأخلاق والسلوكات المثالية. ولعل وصف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي له خير دليل. وخير شاهد على قيمة ومكانة وتميز هذه الشخصية. ومما جاء فيها قوله:

((.. والأستاذ الورتيلاني ابن بار من أبناء جمعية العلماء. وغصن من دوحتها الفينانة. فتح عينيه على شعاعها. وسار في الحياة من أول خطوة على هداها. وقضى عنفوان شبابه في أحضانها. وتخرج في العلم والعمل على قادتها. وبزّ الجياد القرّح في ميادينها. ورمى الغايات البعيدة بتسديدها. وراض عقله على التفكير الصائب. ولسانه على الحديث الصادق. في الإصلاح الديني الذي هو أساس مبادئها. فجذبه استعداده القوي منه إلى العمل في ميدان الإصلاح الاجتماعي. وجرته غيرته المحتدمة على وطنه إلى العمل للإصلاح السياسي. وهذه أنواع من الإصلاح متشابكة الأصول. متشابهة الفروع. تفصل بينها فواصل اعتبارية دقيقة. ولكن الأجراء المقدمين يرونها متلازمة. متوقفا بعضها على بعضها. فلا يتم جزء منها. إلاّ بتمام جميعها. ومن هؤلاء ولدنا الفضيل. فلما ضاق عنه وطنه الأصغر. طار إلى وطنه الأكبر..))[٣١].

وقد وصف نزعاته البارزة الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله :

((.. والأستاذ الورتيلاني إنساني النزعة. ثم إسلاميها. ثم عربيها. ثم جزائريها. تتزاوج هذه النزعات في نفسه من غير أن تتغاير ولا تتضارب. وهو يحسن التأليف بينها. ويلبس كل واحدة لبوسها. ويبرزها في زمانها ومكانها فلا تتناقض ولا تتعاند. ولكن أبينها سمة هي النزعة الإسلامية. فهي التي تستبد بمعظم تفكيره. ثم تأتي النزعة العربية. فله في كل قضية من قضايا المسلمين رأي. وله في كل حدث من أحداث العرب حكم. وله في كل جو من أجواء زمنه متنفس..))[٣٢].

وقد وصفه الأستاذ الشيخ رفيق سنو مدير الشؤون الاجتماعية لجماعة عباد الرحمن وهو يضع خاتمة آثاره (الجزائر الثائرة) فقال: ((..الفضيل الورتيلاني. نشأ نشأة الصبا والحداثة في أحضان الفطرة الطاهرة. وفي أحضان الجبال الشماء. فاكتسب من الأولى قوة الروح. وصفاء العقيدة. والصلابة في الدين. ومن الثانية قوة الجسم ووثاقة التركيب. وسلامة الحواس. ثم نشأ نشأة الشباب في أحضان جمعية العلماء. ففتح عينه على الميادين العامرة بأبطالها. وفتح أذنيه على الأصوات المجلجلة بالعلم والإصلاح. من دروس عامرة بحقائق التنزيل والحكم النبوية. ومحاضرات بليغة في التاريخ الإسلامي والأدب العربي. تفيض بالبيان الساحر. وتتدفق بالبلاغة الساحرة. فنشأ مؤمنا متين العقيدة. حرا عميق الفكر. صريحا لاذع الصراحة. جريء اللسان في كلمة الحق. شجاع الرأي إذا جمعت الآراء وتخافتت. غيورا على وطنه غيرته على دينه. إذن فهو معدود من بواكير هذه النهضة المباركة في الجزائر. رافقها في جميع مراحلها وشارك - على فتوته - الشيوخ المحنكين في بنائها .

لازم الشيخ عبد الحميد بن باديس سنوات. فتأثر بمنازعه الخطابية. مواقفه في حرب الضلال. وسقيت ملكته بغيث ذلك البيان الهامي.

فأصبح فارس منابر، وحضر اجتماعات جمعية العلماء الخاصة والعامة، فاكتسب منها الصراحة في الرأي، والجراءة في النقد، والاحترام للمبادىء لا للأشخاص، ثم لابس السياسيين وغشي مجتمعاتهم، فرأى من زيغ العقيدة وزيف الوطنية، وانحلال الأخلاق، نقيض ما رأى من رجال جمعية العلماء، فثار عليهم ودهوا منه بباقعة، وكان الأستاذ الرئيس يقدر له - وهو في الحداثة - عواقب الرجال، ويتخيل فيه مخايل الأبطال، ويقول له كلما رأى منه مخيلة صدق : "لمثل هذا كنت أحسبك الحسا". ثم جاوز البحر سنة ١٩٢٦م بموافقة من الأستاذ الرئيس ومني، ليرد على الضالين من أبناء قومه هداية الإسلام، وليرد على الناشئين هناك من أبنائهم ما أضاعه الوسط من دين ولغة، وليزرع في قلوب الأبناء والآباء معا حب الدين والجنس واللغة والوطن، وليعيد إلى الجزائر بذلك كله قلوباً تنكرت لها، وأفئدة هوت إلى غيرها، وغراسا أظمأها الاستعمار في مغارسه فالتمست الري والنماء في غيرها، فتتبعهم الفضيل في مطارح اغترابهم، وجمع شملهم على الدين، وقلوبهم على التعارف والأخوة، وجمع أبناءهم على تعلم العربية، وأسس في باريس وضواحيها بضعة عشر ناديا، عمرها هو ورفاقه الذين أمدته بهم جمعية العلماء بدروس التذكير للآباء والتعليم للأبناء، والمحاضرات الجامعة في الأخلاق والحياة، ونجح الفضيل في أعماله كلها، نجاحا عاد على المسلمين في فرنسا بالخير والبركة، وعاد على جمعية العلماء بالسمعة العطرة والدعاية الطيبة، وكان في ذلك المدة كلها، متصل الأسباب بجمعية العلماء، مراسلة واستمدادا، وإشارة واستشارة، وقد رجع في أثنائها إلى الجزائر .. وفي أواخر سنة ١٩٣٨م هاجر إلى مصر مستزيدا من العلم والتجارب، مستجمعا قوته للعمل في ميدان أوسع وجو أصفى، وكانت له المواقف المشهودة، والرحلات الموفقة إلى الأقطار العربية..))[٢٣].

تأثيراته الإصلاحية :

وصف الأستاذ المرحوم محمد المنصوري الغسيري نشاطات الشيخ الفضيل في مصر عندما زارها، وعدد تأثيراته الإصلاحية بقوله: ((.. جاء الأستاذ الرئيس إلى الشرق العربي الإسلامي فجال جولات موفقة واتصل بولاة أمور البلاد فوجه وأرشد ولفتهم إلى وجوب تقديم المساعدة لأبناء عمومتهم في الجزائر عن طريق التربية والتعليم، فاستجابوا حفظهم الله وجزاهم عن الإسلام والعربية خيرا ..))[٢٤].

وقد كتب عن مجهوداته وتأثيراته تلميذه الشيخ محمد الأكحل شرفاء يصفها ويعددها، فقال: ((.. إن نفس الورتيلاني العظيم من تلك الفئة الأولى الأصيلة: تلك التي تشبه المعدن الذهبي، ذلك الذي يصهر بالنار، ولكنه يخرج منها ألمع ما يكون بريقا، وأنقى ما يكون من الشوائب، وهذا نفس ما حدث للفضيل، فلقد مرت عليه كما تمر على الأفذاذ العباقرة، ظروف عابسة، حسبها الناس حجابا صفيقا بين ماضيه ومستقبله، ولكنها سرعان ما انقشعت كما تنقشع السحب الثقال عن وجه الشمس، فأشرف الورتيلاني من جديد على دنيا الإسلام والعروبة بالأضواء الكاشفة، فأنار طريق الكفاح من جديد، وفتح جبهة الجهاد من جديد، وتبوأ مركزه العظيم بين أساطين النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي..))[٢٥].

وقد وصف تأثيراته الأستاذ الشيخ رفيق سنو

مدير الشؤون الاجتماعية لجماعة عباد الرحمن وهو يضع خاتمة آثاره (الجزائر الثائرة) فقال: ((.. حضرت كثيرا من مجالس الورتيلاني مع رجال السياسة. ابتداء من رئيس الجمهورية إلى رؤساء الوزراء. إلى الوزراء والنواب والزعماء والصحفيين. فكان في كل ذلك محل إكبار وإعجاب. فكان في كل ذلك أستاذا ومعلما وموجها. في كل لغة مشرفة. ومنطق رصين. وكان في كل ذلك تستوقفني منه ظاهرة ملازمة له عجيبة. وهو وفاؤه لوطنه الأول الجزائر والمغرب العربي. ولم أسجل له يوما العجز على خلق الفرصة. للتحدث عن آلامه وآماله. والدعوة الحارة إلى نصرته ضد الاستعمار. وحضرت له كثيرا من المجالس مع رجال العلم والدين. من مسلمين ومسيحيين. فكانت تتجلى في لغته وأبحاثه معهم. معاني المساء في جمالها وجلالها. ويغمر جو الحاضرين حالة من الروحانية والتأثر. حتى كأنهم صاروا في جو من الصحابة والحواريين. وحضرته مع الشباب المثقف الشاك. ومع أهل العقائد السياسية من اشتراكيين وشيوعيين وقوميين ونقابيين. فكان هو ذلك المبرز في كل ميدان. المحترم من كل من ينشد الحق والاستفادة. وحضرته مع العوام والدراويش والأبضيات الأطهار. فكان يفهم عنهم ويفهمون عنه. حتى لكأنهم عاشوا في بيئة مشتركة. واصطلحوا على لغة واحدة. وفي ظني لو أن الرجل في مجموع مواهبه العظيمة قد كتب الله له الاستقرار في مجتمع واحد لمدة من الزمن كافية. لأمكن أن يخلق مجتمعا مثاليا بحق. ولكن آماله الواسعة في خدمة الإنسانية عامة. وتشتت جهوده في كل مكان من الشرق والغرب. وتغلب الأحوال السياسية والدولية في الأماكن التي يبتدئ فيها عمله. وحرمانه من مواصلته قبل أن يصل إلى هدفه الأخير. كل ذلك كان يقطع عليه الطريق في وسطه أو في آخره. ويضطره إلى العود لأوله. فيستأنف السير من جديد. وقد تكرر له ذلك في حياته مرارا. ولم ييأس ولم يفكر أن ينصرف نهائيا عن المتابعة والمحاولة. حتى في أسوأ الأحوال. وأقسى الظروف. لأن الكفاح في سبيل رسالته التي آمن بها. أصبح جزءا من حياته. ومرضا مزمنا غير قابل للعلاج..))[٣٠].

مسرد الإحالات

(*) محمد الأكحل شرفاء. من أبطال الدعوة. جريدة البصائر. عدد ٣٥٨. ١٦/مارس/١٩٥٦م.

(١) أبو القاسم سعد الله. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. دار الغرب الإسلامي. بيروت. الطبعة الثالثة. ج ١. ص ٥٦. وجمال قنان. قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث. منشورات متحف الجهاد. الجزائر. الطبعة الأولى. ١٩٨٨م ص ١٨١ و ١٨٢.

(٢) سعد الله. أبحاث وآراء. ج ١. ص ٥٦ .. ٥٨.

(٣) عثمان سعدي. عروبة الجزائر عبر التاريخ. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. الطبعة الأولى. ١٩٨١م. ص ٩٣

(٤) المرجع نفسه. ص ٩٣ و ٩٤.

(٥) تركي رابح. التعليم القومي والشخصية الوطنية. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. الطبعة الأولى. ١٩٨٦م. ص ١٠٧ و ١٠٨.

(٦) المرجع نفسه. ص ٩٤ ... ٩٦. ١٩٦. ١١٥... ١١٩. ٢١١ ... ٢١٨.

(٧) تركي رابح. التعليم القومي. ص ٩٥.

(٨) لا يقصد الأستاذ فريد وجدي بك بمفهوم الفتح نفس الدلالات المعرفية المرادفة للفتح الإسلامي. بل وهو المفكر والزعيم الوطني والعربي - هو أبعد من أن يعد الغزو الفرنساوي فتحا بدلالاته الإسلامية.

(٩) محمد فريد بك وجدي. التعليم والمدارس في الجزائر. جريدة اللواء المصرية. عدد ٦١٢. ١٣/١٠/١٩٠١م. نقلا عن: تركي رابح. الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح التربوي في الجزائر. ص ٩٧ و ٩٨ .

(١٠) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ فضيل الورتيلاني. جريدة النصر الجزائرية. الثلاثاء ١٣/مارس/١٩٩٠م. ص ٥ . من علماء الجزائر الأفذاذ - الشيخ الفضيل الورتيلاني -. جريدة الشرق الأوسط السعودية. عدد ٤٣٢١. الخميس ٢٧/٠٩/١٩٩٠م. ص١٤.

(١١) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ فضيل الورتيلاني. جريدة النصر الجزائرية. الثلاثاء ١٣مارس/١٩٩٠م. ص ٥ . ومحمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. جريدة النهار الجزائرية. الجمعة ١٥/مارس/١٩٩١م. ص٨.

(١٢) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨ .

(١٣) محمد البشير الإبراهيمي. الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -. جريدة البصائر. السلسلة الثانية. السنة السابعة. الجمعة ٢٨/ذوالحجة/ ١٣٧٣هـ الموافق ٢٧/أوت/١٩٥٤م. ص ١.

(١٤) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨ .

(١٥) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨.

(١٦) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨.

(١٧) محمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨ .

(١٨) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥ . ومحمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨.

(١٩) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني. ص ٥. ومحمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨. وعادل نويهض. معجم أعلام الجزائر. ص ٣٤٠ و٣٤١.

(٢٠) مكتب جمعية العلماء بالقاهرة. جريدة البصائر. السنة السابعة. السلسلة الثانية. الجمعة ٠٩/ربيع أول/١٣٧٤هـ ١٥/نوفمبر/١٩٥٤م. ص ٤. وانظر: البيان التاريخي الصادر عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة من توقيع الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني. نقلا عن: الفضيل الورتيلاني. الجزائر الثائرة. دار الهدى. قسنطينة. الطبعة الأولى. ١٩٩٢م. ١٥٤ .. ١٥٦ .

(٢١) حول زلزال الأصنام. من جمعية العلماء الجزائريين إلى الرئيس جمال عبد الناصر. جريدة البصائر. السلسلة الثانية. السنة السابعة. عدد ٢٨٨. الجمعة ١١صفر/١٣٧٤هـ الموافق ٠٨/اكتوبر/١٩٥٤م. ص ١.

(٢٢) محمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨ .

(٢٣) جريدة البصائر. عدد ١٧٤. سنة ١٩٥١م . نقلا عن عيون البصائر للشيخ محمد البشير الإبراهيمي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. الطبعة الثانية. ١٩٧٨م. ج ٣. ص ٦٨٧ . وانظر أيضا براءة الزعيم الورتيلاني. جريدة البصائر. السلسة الثانية. السنة الثالثة. عدد ١١٩. الإثنين ٢٨/رجب/١٣٦٩هـ ١٥/ماي/١٩٥٠م. ص ٧ .

(٢٤) الفضيل الورتيلاني. هل يعرف العرب هذه الحقائق عن فلسطين - أنقذوا الممكن منها قبل نزول الغضب. جريدة البصائر. السنة السابعة. السلسلة الثانية. عدد ٢٨٦. الجمعة ٢٤/محرم/١٣٧٤هـ الموافق ٢٧/سبتمبر/ ١٩٥٤م. ص ٧ و ٨. بتصرف .

(٢٥) محمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. ص ٨ .

(٢٦) بريد الشرق. الأستاذ الرحالة المغربي الفضيل الورتيلاني في الهند وباكستان. جريدة البصائر. السنة الخامسة. السنة الثانية. عدد ١٩٥. الإثنين ١٥/شوال/ ١٣٧١هـ الموافق ٠٧/جويلية/١٩٥٢م. ص ٣ .

(٢٧) بريد الشرق. الأستاذ الفضيل الورتيلاني في إندونيسيا وسومطرة. جريدة البصائر. السنة الخامسة. السنة

الثانية، عدد ١٩٥، الإثنين ١٥/شوال/١٣٧١هـ الموافق ٠٧/جويلية/١٩٥٢م، ص ٣.

(٢٨) محمد البشير الإبراهيمي. الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -. جريدة البصائر، السلسة الثانية، السنة السابعة، عدد ٢٨٢، الجمعة ٢٨/ ذوالحجة/١٣٧٣هـ الموافق ٢٧/أوت/١٩٥٤م، ص ١.

(٢٩) تعريف بالصحف التي كتب فيها الشيخ الفضيل الورتيلاني:

- جريدة النجاح (١٩١٩ - ١٩٥٦) أول صحيفة عربية تأسست بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت يومية في أول أمرها ثم تحولت إلى أسبوعية، وكانت على صلة بوكالة (هافاس) العالمية، وهي صحيفة إخبارية جامعة، أدارها ورئس تحريرها عبد الحفيظ بن الهاشمي، ثم انضم إليه إسماعيل مامي الصحفي والكاتب القسنطيني، ولم يكن لها اتجاه سياسي، إلا الربح المادي، ولذا فقد سخرتها الإدارة الاستعمارية فترة لمحاربة الصف الإصلاحي. انظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص٤٣ و٤٤.
- جريدة المنتقد (١٩٢٥) جريدة أسبوعية صادرة بقسنطينة، رئس إدارتها الشيخ أحمد بوشمال، ورئس تحريرها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهي جريدة تمثل الخط الإصلاحي الاجتماعي، وقد دل عليها شعارها فهي جريدة حرة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، وشعارها (الحق فوق كل واحد، والوطن قبل كل شيء) وللهجتها الحادة مع الإدارة الاستعمارية عطلتها بعد أربعة أشهر من صدورها، وبعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا، وقد صدر العدد الأول يوم ٢/٧/١٩٢٥م الموافق ١١/ذى الحجة/ ١٣٤٣هـ، والعدد الأخير منها يوم ١٠/ربيع ٢ /١٣٤٤هـ الموافق ٢٩/١٠/ ١٩٢٥م، انظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص ٥٣ و٥٤.
- جريدة السنة النبوية (١٩٣٣) تعتبر أول جريدة تصدرها جمعية العلماء لتكون اللسان الناطق باسمها، وقد ظهر العدد الأول منها يوم ٨/ذى الحجة/١٣٥١هـ الموافق ٣/٤/١٩٣٣م وكانت تصدر أسبوعيا كل يوم اثنين تحت إشراف وإدارة الشيخ عبد الحميد بن باديس ورئاسة تحرير كل من الشيخ الطيب العقبي، والشيخ محمد السعيد الزاهري، وجاءت لترد على صحف جمعية علماء السنة المعيار، التي ظهرت بداية ١٦/١٢/١٩٣٢م، والإخلاص التي ظهرت بداية ١٩/١٢/١٩٣٢م، وأوقفت يوم ١/٧/١٩٣٣م بعد أن صدر منها ثلاثة عشر عددا. انظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص١٣٠.
- جريدة الشريعة (١٩٣٣) التي صدر العدد الأول منها في ١٧/٧/١٩٣٣م الموافق ٢٤/ربيع أول/١٣٥٢هـ وقد كانت امتدادا لجريدة السنة المعطلة، ولم يصدر منها غير سبعة أعداد، حتى جاء قرار تعطيلها يوم ٢٩/٨/١٩٣٣م.
- جريدة الصراط السوي (١٩٣٣ - ١٩٣٤)، التي ظهر العدد الأول منها في ١١/٩/١٩٣٣م الموافق ٢١/جمادى الأولى/١٣٥٢هـ وكانت امتدادا لسابقتيها الشريعة والسنة المعطلتين، وقد صدر منها العدد السابع عشر حتى عطلتها الإدارة الاستعمارية في يوم ٨/١/١٩٣٤م، لمواقفها ولخطها الإصلاحي المصر على نشر الفضيلة والعلم، ومحاربة الرذيلة والجهل. انظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص ١٨١.
- جريدة المغرب العربي (١٩٤٧ - ١٩٤٨) الصادرة بالجزائر العاصمة تحت إدارة ورئاسة وتحرير محمد السعيد الزاهري.
- جريدة الشعلة (١٩٥١- ١٩٥٢م) صدرت الشعلة لمدة سنة واحدة، وقد ظهر منها (٥٣) عددا، وهي موجودة بمصلحة الأرشيف بولاية قسنطينة مع غالبية الدوريات والجرائد والمجلات العربية والفرنسية لتلك الحقبة في قسم الجرائد والمجلات.
- جريدة الوطن موجودة بمكتبة الشيخ العربي التبسي بمدينة تبسة، وقد أخبرني عمال المكتبة أن الأعداد تلك من ملك الشيخ العربي التي كان يرسلها له صديقه الأستاذ فرحات عباس.
- جريدة الأسبوع التونسية موجودة بمكتبة الشيخ العربي بمدينة تبسة، والأعداد هي من مخلفات مكتبة الشيخ

رحمه الله الذي كانت تصله الكثير من الجرائد العربية. وقد وجدت في مكتبته الكثير من الجرائد والمجلات العربية كالرسالة لأحمد حسن الزيات والصادقية.

❖ جريدة المنار الجزائرية الصادرة بمدينة تونس، والتي كانت معبرة إلى حد كبير عن توجهات حزب الشعب، واستمرت في الصدور لمدة ثلاث سنوات ١٩٥١-١٩٥٣م طبعت مؤخرا في الجزائر

❖ هذه الصحف موجودة بمركز أرشيف ولاية قسنطينة، وفي المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة .

(٣٠) وكالة الأنباء الجزائرية، في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني، ص ٥. ومحمد مصباح، الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تتناوم النسيان، ص ٨، في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد نقلت رفاته وبأمر منه بعد أن قبل مشورة أحد المستشارين الطبيين، الذي أشار عليه بضرورة إعادة رفاته المهاجرة، نظرا لما فيه من سمعة ومكانة للجزائر . ففعل يرحمه الله مشكورا.

(٣١) جريدة البصائر، عدد ١٧٤، سنة ١٩٥١م، نقلا عن عيون البصائر، الشيخ البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ج ٢، ص ٦٨٨ .

(٣٢) محمد البشير الإبراهيمي، الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة السابعة، عدد ٢٨٢، الجمعة ٢٨/ ذوالحجة/١٣٧٣هـ الموافق ٢٧/أوت/ ١٩٥٤م، ص١.

(٣٣) الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، ص ٤٧٧ و٤٧٨.

(٣٤) محمد المنصوري الغسيري، مصر الشقيقة تحتفل بالكشافة الإسلامية الجزائرية، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة السادسة، عدد ٢٤٠، الجمعة ٠٣/محرم/١٣٧٣هـ الموافق ١١/سبتمبر/١٩٥٣م، ص٨.

(٣٥) محمد الأكحل شرفاء، من أبطال الدعوة، جريدة البصائر، عدد ٣٥٨، ١٦/مارس/١٩٥٦م، نقلا عن الجزائر الثائرة، ص ٤٦١ .

(٣٦) الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، ص ٤٧٠ و٤٧١.

قائمة المصادر والمراجع

١ - المصادر :

(١) الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، قسنطينة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م .

(٢) الفضيل الورتيلاني، هل يعرف العرب هذه الحقائق عن فلسطين - أنقذوا الممكن منها قبل نزول الغضب، جريدة البصائر، السنة السابعة، السلسلة الثانية، عدد ٢٨٦، الجمعة ٢٤/محرم/١٣٧٤هـ الموافق ٢٧/سبتمبر/ ١٩٥٤م، ص ٧ و ٨، بتصرف .

(٣) بريد الشرق، الأستاذ الرحالة المغربي الفضيل الورتيلاني في الهند وباكستان، جريدة البصائر، السنة الخامسة، السنة الثانية، عدد ١٩٥، الإثنين ١٥/شوال/ ١٣٧١هـ الموافق ٠٧/جويلية/١٩٥٢م، ص ٣ .

(٤) بريد الشرق، الأستاذ الفضيل الورتيلاني في إندونيسيا وسومطرة، جريدة البصائر، السنة الخامسة، السنة الثانية، عدد ١٩٥، الإثنين ١٥/شوال/١٣٧١هـ الموافق ٠٧/جويلية/١٩٥٢م، ص ٣ .

(٥) الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ج ٢

(٦) وكالة الأنباء الجزائرية، في ذكرى رحيل الشيخ الورتيلاني.

٢ المراجع :

(١) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ج ١ .

(٢) جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات متحف الجهاد، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م .

(٣) عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

(٤) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح التربوي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٣ - الصحف والمجلات :

(١) جريدة البصائر. عدد ١٧٤. سنة ١٩٥١م .

(٢) محمد المنصوري الغسيري. مصر الشقيقة تحتفل بالكشافة الإسلامية الجزائرية. جريدة البصائر. السلسلة الثانية. السنة السادسة. عدد ٢٠٠. الجمعة ٠٢/ محرم/١٣٧٣هـ الموافق ١١/سبتمبر/١٩٥٣م. ص ٨.

(٣) محمد البشير الإبراهيمي. الدستور الإسلامي المنشود - رسالة الأستاذ الورتيلاني فيه -. جريدة البصائر. السلسلة الثانية. السنة السابعة. عدد ٣٨٢. الجمعة ٣٨/ ذوالحجة/١٣٧٣هـ الموافق ٢٧/أوت/١٩٥٤م. ص١.

(٤) محمد الأكحل شرفاء. من أبطال الدعوة. جريدة البصائر. عدد ٣٥٨. ١٦/مارس/١٩٥٦م .

(٥) براءة الزعيم الورتيلاني. جريدة البصائر. السلسة الثانية. السنة الثالثة. عدد ١١٩. الإثنين ٢٨/رجب/ ١٣٦٩هـ ١٥/ماي/١٩٥٠م. ص ٧ .

(٦) مكتب جمعية العلماء بالقاهرة. جريدة البصائر. السنة السابعة. السلسلة الثانية. الجمعة ٠٩/ربيع أول/١٣٧٤هـ ١٥/نوفمبر/١٩٥٤م. ص٤. وانظر: البيان التاريخي الصادر عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة من توقيع الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني.

(٧) حول زلزال الأصنام. من جمعية العلماء الجزائريين إلى الرئيس جمال عبد الناصر. جريدة البصائر. السلسلة الثانية. السنة السابعة. عدد ٣٨٨. الجمعة ١١/صفر/ ١٣٧٤هـ الموافق ٠٨/اكتوبر/١٩٥٤م. ص ١ .

(٨) محمد فريد بك وجدي. التعليم والمدارس في الجزائر. جريدة اللواء المصرية. عدد ٦١٢. ١٣/١٠/١٩٠١م . نقلا عن :

(٩) جريدة النصر الجزائرية. الثلاثاء ١٣/مارس/١٩٩٠م. ص ٥ .

(١٠) من علماء الجزائر الأفذاذ - الشيخ الفضيل الورتيلاني -. جريدة الشرق الأوسط السعودية. عدد ٤٣٢١. الخميس ٢٧/٠٩/١٩٩٠م. ص ١٤ .

(١١) وكالة الأنباء الجزائرية. في ذكرى رحيل الشيخ فضيل الورتيلاني. جريدة النصر الجزائرية. الثلاثاء ١٣/مارس/١٩٩٠م. ص ٥ .

(١٢) محمد مصباح. الشيخ العلامة الورتيلاني ملحمة كفاح مازالت تقاوم النسيان. جريدة النهار الجزائرية. الجمعة ١٥/مارس/١٩٩١م. ص ٨ .